

أن جرداً يافعا كانت تسري فيه الحياة فكان كله قوة وكله أملاً وكله حركة ونشاطاً، فهو لا يستطيع — وإن أراد — أن يقر في مكان ساعة ولا يعرف من دهره إلا أن يسري في مناكب الأرض سعيًا وإن لقي في سبيل فما أرخص الملوذ عنده بالقياس إلى إثبات وجوده وتقرير ذاته، فإن هالك هذا الأمل العريض ينشده مثل ذلك البدن الواهن أجابك في مثل سخريتك بأن الوجود وجوده هو، من الغفلة أن يكون وألا يكون في آن معا؛ فاضحك ما شئت فلن ينثني الجرد عن أن يكون في دنياه شيئاً كما أراد له بارئه أن يكون! مه، وكان الجرد وحيداً معناه في قاموس ألفاظها إلا النزق والطيش، فلم تدخر وسعاً في الحد من نشاط وليدها وهو قرة عينها وأملها الذي يُعيد لها الشباب بشبابه، الحنون، وتكيل له عظام السنني نصحا بألا ينصاع لدعوة شيطانه الخبيث: ألا ترحم يا ابنه أمك امل كتهلة؟ ما ضررك أن تهدأ في كمينك بني ذراعي وأمام بصري؟ لئن يكن قد أغراك بالدنيا رعداً وبرقها؛ فما ذاك يا ولدي إلا رعد خلُّب وبرق كذوب! وإن يكن قد أهاب بك صوت الملجد؛ يأبى عليك الأمن فينصب لك حبال الملوذ باسم املُ جد والخلود! خذها كلمة أملتتها تجربة السنني: لن يغنم الحي من